

تمظهرات المحظور الديني في روايات أسيا جبار

Manifestations of religious taboos in the novels of Assia Jabbar

شمري أحلام¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

amelzahrat56@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/12/21 القبول 2021/11/03 النشر على الخط 2022/04/15

Received 21/12/2020 Accepted 03/11/2021 Published online 15/04/2022

ملخص:

يحتل المحظور الديني حضورا متميزا في الرواية النسوية الجزائرية وعرفت نضجا فنيا تضافر فيه الموضوعاتي والجمالي، لعل هذا ما جعل أسيا جبار تنفتح على هذا الموضوع الذي أصبح محورا مركزيا في تجاربها السردية، ومن ثم كان هذا البحث الوقوف على سمات المحظور والكشف عن مضمراته الدلالية وآليات اشتغاله بوصفه خطابا مسكوتا عنه.

وذلك كله بالإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها:

- ماهي خلفيات تشكل المحظور الديني في الرواية النسوية الجزائرية؟ - هل نجحت الكاتبة الجزائرية أسيا جبار في اختراقها لعالم الكتابة المحرمة، وهل روته كما ينبغي؟

- ما هي المساحة التي يشغلها المحظور الديني في روايات أسيا جبار؟

- ما هو أثر هذا الموضوع على الكتابة الروائية النسائية في الجزائر؟

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسوية- المحظور الديني - الرواية الجزائرية-أسيا جبار-.

Abstract

The religious taboo occupies a distinct presence in the Algerian feminist novel, and it has know artistic maturité in which the thematic and the aesthetic intertwine. As a silent speech about him. All this by answering a number of questions, including:

-What are the backgrounds of the forbidden character in the Algerian feminist novel?

- Did the Algerian writer Assia Djebar succeed in her penetration into the world of forbidden writing, and did she narrated it as it should be told?

-What is the space occupied by the religious prohibition in the novels of Assia Jabbar?

- What is the impact of this subject on women's fiction writing in Algeria?

Key words: Feminist writing- religious taboo - Algerian novel - Jabbar .

¹ المؤلف المراسل: أحلام شمري البريد الإلكتروني: amelzahrat56@gmail.com

مقدمة:

تعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية المعاصرة، التي تمكنت من استعاب مشاكل، وهموم الإنسان المعاصر، وليس الزخم الهائل من الكتابات الروائية التي تصدر بين فينة وأخرى. وميل الكثير من المبدعين إلى الإبداع الفني في هذا الجنس بالذات، إلا دليلا على أهميته، ولذلك ظهر ما يعرف بتقنية التحريب في الرواية، فتنوعت طرق تقديم المحكي، هذا بالإضافة إلى تشعب المواضيع المتناولة، والمعالجة من قبل الروائيين، فضلا عن تعدد اتجاهاتها: فمن رواية تاريخية، إلى رواية رومانسية، إلى أخرى واقعية، إلى رمزية، إلى روايات الخيال العلمي... الخ.

حاولت الرواية الجزائرية أن تواكب العديد من مستجدات الساحة الأدبية والثقافية، على الصعيدين العربي والغربي، وظهرت النسوية في السرد العربي كردة فعل يتوقعها المتلقي لما حملته من أفكار ومبادئ تجذب إليها المرأة أكثر من الرجل؛ لأن النسوية كونت نواة استطاعت الرواية النسوية أن تنطلق من خلالها وتستغلها؛ لتعكس وتحاكي واقعها العربي المأزوم ثقافيا وسياسيا.

ونظرا للمواجهة التي ستعرض لها الروائية الجزائرية، إذا ما حاولت نقد مجتمعها بكل مافيه من قيم رسختها العادات والتقاليد في أذهاننا سواء أكانت إيجابية أو سلبية، فقد استطاعت أن تستغل اللغة الإبداعية، لتتوارى خلفها؛ وتحمل شخصياتها مهمة البوح بما تريد دون أن تعرض نفسها للمواجهة المباشرة مع الآخر ونظرا لحساسية موقع المرأة في المجتمع وطبيعة نظرة المجتمع لها من عدم إفساح المجال أمامها للخوض في المحرمات الثلاث: الدين - السياسة - الجنس، لما تحفل به هذه المجالات من حساسية وخصوصية في تعاطيها.

المعتبر أن الدين في الثالوث المحرم مستوى علوي مقدس يحايثه التدنيس والاختراق في المتن السردية. وهذا التدنيس هو ما لمناهه بشكل مهيم في روايات أسيا جبار التي ولجت عالم الطابوهات من خلال تجاوزها لقدسية الدين وتدنيسها لقضاياها، وتعريضها والكشف عنها بجرأة.

القارئ لروايات أسيا جبار يلفي أنها تعاملت مع الدين بطرق مختلفة ومتعددة، وأنها نظرت إليه من منظورات متنوعة، لعل أكثرها جلاء السخرية. هذا بالإضافة إلى التمرد والسخط، وقليل ما نجد التقديس والاحترام.

وإذا كان الأصل في الأشياء الصواب والاستقامة، فإن الخروج عن ذلك والتعامل معه وفق زاوية من الزوايا المذكورة سابقا يعني التدنيس.

والمقصود بالمحذور الديني، هو جملة ما حظره الشرع في القرآن الكريم، أو في بعض الديانات بشكل صريح أو ضمني، واضحة معانيه من خلال كتب المفسرين، والأمر ليس حكرا على الدين الإسلامي بل كل الديانات لها محظوراتها. والتي يمنع على المتدين ممارستها أو إتقانها.

والمحذور الديني في الرواية هو المساس بقداسة الدين، وكل ما يمت بصلة من قريب أو من بعيد، بمعنى أنه الأمور التي لا يجب التحدث فيها تصرّحا، أو تلميحاً، أو إعلان ممارستها، أو القيام بانتهاكها أو السخرية والتهكم من قداستها. ولذلك ارتأينا رصد مثل هذه الممارسات في بعض المتون الروائية الجزائرية المعاصرة، وقد وقع الاختيار على روايات أسيا جبار بالنسبة للرواية النسوية

الجزائرية المعاصرة. وذلك نظرا لمناسبة هذه الكاتبة لمثل هذه الدراسة، لتوافر موضوع المحذور الديني في متونها، لنلج من خلالها إلى النماذج المختارة لهذه الدراسة.

باعتبار آسيا جبار أديبة فرانكفونية، كل إبداعاتها باللغة الفرنسية، والتي لم تتنازل عنها يوما. فقد سمح لها بذلك الولوج في المواضيع الحساسة، على غرار موضوعي الدين والجنس، وهي التي دخلت معترك الكتابة في سنوات الخمسينيات، أيام كان ظهور المرأة في هذا المجال محتشما، فتواجدها بفرنسا، ونشرها لأعمالها هناك؛ بالإضافة إلى توجه رواياتها لجمهورها الغربي أو العربي القارئ للفرنسية؛ قد ساعدها كل ذلك على تقبل أعمالها، حتى وان انتهكت المحظورات.

سنحاول قراءة المحذور الديني في روايات آسيا جبار، وذلك كله بالإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها:
- ماهي خلفيات تشكل المحذور الديني في الرواية النسوية الجزائرية؟ - هل نجحت الكاتبة الجزائرية آسيا جبار في اختراقها لعالم الكتابة المحرمة، وهل روته كما ينبغي؟

- ما هي المساحة التي يشغلها المحذور الديني في روايات آسيا جبار؟

- ما هو أثر هذا الموضوع على الكتابة الروائية النسائية في الجزائر؟

أولاً: اشتغال المحذور الديني في الرواية الجزائرية النسوية:

ما انفكت الجهود النقدية المعاصرة وبخاصة في الربع الأخير من القرن العشرين تهتم بالدراسة النسوية العربية، وتسعى إلى بلورتها في صور تعتصر مختلف أبعادها، وقد استقام لها ذلك في كثير من الأحيان، بحيث لم يعد بدعا تميز الإبداع النسوي العربي والجزائري عن غيره من الإبداعات العامة. بحكم احتكامه إلى مضامين خاصة، وأساليب معينة، صارت مع تكرار التجربة واضحة الملامح.

ذلك أن المرأة شغلت حيزا مهما في المشهد الروائي الحديث، واستطاعت على مدار العشرين سنة المنصرمة أن تتخذ لنفسها موقعا مهما ومغايرا في الخطاب السردي المعاصر، وهو ما يصدق على الإبداع الأدبي النسائي الجزائري عامة، والروائي منه خاصة، منذ فترة التسعينيات من القرن الماضي إلى اليوم، فقد شهدت هذه المرحلة ازديادا في الإنتاج.

"و أيا كان الأمر، فقد تحركت الرواية الجزائرية في حقول واتجاهات شتى، وشرعت باب الأسئلة المتعددة، لترتاد مناطق من الذاتي والجماعي، وتحليلات الأنوثة المرفهة والمرهنة، في سياق محاولاتها الرامية إلى استكشاف ذاتها العميقة. وسعيها إلى إسماع صوتها، وسط مجتمع ذكوري يعمل على إخراسه وتهميش كيانها وإخضاعه لسلطان قوله وقراره"¹.

فلم تعد المرأة ذلك الكائن الضعيف والبائس الذي يسلم بشكل ما يقدم لها، بل تحولت إلى أنثى/امرأة تتأمل كل ما يحيط بها وتتفاعل معه، وتبلغ في نظرنا أعلى درجات الوعي التي تتحصن به فيكسبها قدرة على الكتابة والإبداع. فاكتمت ميدان الرواية وأنتجت فغيرت أنماطا فنية جديدة من الكتابة والتعبير، وتطرقت إلى مواضيع لم يسبق لها خوض في غمارها.

¹ - أمال بوعيط، إشكالية الهوية في الخطاب الأنثوي العربي المعاصر (الرواية المغاربية) نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة باتنة، اشراف: الطيب بودريالة، ط2016-2017، ص3.

وهكذا تنوعت الموضوعات، وتعددت القضايا في المدونة الروائية النسائية الجزائرية، لتشكل لوحة فسيفسائية؛ تبرز كل قطعة منها مشهداً من مشاهد العالم المتخيل، بمنظور الأنثى الفاعلة المؤثرة، القادرة على استنطاق المسكوت عنه، متحركة وفق ما يستثيرها من أسئلة عن الذات، والآخر، والمصير.

استمدت النظرية النسوية أفكارها لتحاول تأسيس ثقافة مختلفة تعيد قراءة الماضي من أجل فهم الحاضر، وبناء المستقبل، وذلك عبر تفكيك المقولات الذكورية وتقويضها وإخضاعها للمساءلة، وإعادة التأويل محاولة إيجاد مكان في هذا العالم يؤمن بالعدالة بين الرجل والمرأة، متوسلة اختراق المحذور للتحرر من براثن النسق الذكوري.

يعد المحذور الديني من بين المواضيع التي اهتمت بها الروائية المعاصرة، فهي في تارة تحاوره، وتارة تستكين له، وأخرى تتمرد عليه، وأخيراً وليس آخراً تتجاوزه إلى حدود اللامنتطق؛ فتقفز بذلك إلى اللامعقول إلى غير ذلك من حالات التعامل معه.

"المحذور الديني في الرواية؛ هو المساس بقداسة الدين، وكل ما يمت له بصلة من قريب أو من بعيد، بمعنى أنه الأمور التي لا يجب التحدث فيها تصريحاً، أو تلميحاً، أو إعلان ممارستها، أو القيام بانتهاكها".¹

وهذا يعني أن حرق المحذور الديني في الكتابة الروائية، هو في حد ذاته خروج عن المؤلف، فالدين وكل ماله علاقة به؛ وضع من الأزل ليقدر، ويحترم، لا ليدنس ويداس عليه تحت مظلة - حرية الكتابة والإبداع.

يتحدد الخطاب الديني داخل الروايات النسوية الجزائرية المعاصرة بإطار إشكالي مميز تدور في نطاقه أيديولوجية الحركات التحررية النسوية الغربية، وبالتالي ينبغي أن يفهم على أنه يشكل ركيزة أساسية ضمن جملة المعايير التي تقوم عليها تلك الحركات وبالتالي فهو يشكل بؤرة مركزية مميزة داخل النسق الروائي العربي المعاصر، إضافة إلى أنه يشكل محورا أساسيا بغية الوصول إلى معنى جملة القضايا التي تثار ضمن تلك المتون الروائية أو أيديولوجيا الأنوثة السائدة هناك.

وإذا عدنا إلى الأعمال الإبداعية التي نحن بصدد تحليلها ألفيناها خطاباً يخترق المحذور، بالكشف والبوح عن بعض الممارسات التي تعد من المحرم الحديث عنها، خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية المحافظة، لذا فقد أحدثت مثل هذه الأعمال خلخلة في السائد والمألوف، وزعزعت اليقينيات والمسلمات، وخيبت أفق القارئ العربي الذي تعود على تلقي نمط معين من الكتابات. فأصبح فعل الكتابة "اختراقاً لا تقليداً، واستشكالا لا مطابقة، وإثارة للسؤال لا تقديماً للأجوبة، ومهاجمة المجهول لا رضى عن الذات".²

ومنه يتبين أن اختراق المحذور يرتبط أساساً بالتجديد في الإبداع، وقراءته قراءة بعيدة عن الخشية والحظر، قصد تحقيق انفتاح على العالم ومسايرته في كل تطوراته الثقافية وتحولاته الفكرية.

سعت الروائيات إلى اختراق المحذور الديني بغية إنتاج خطاب مغاير للذائقة العربية وللمجتمع، كون الكتابة ليست ممارسة لغوية فقط. بل لها علاقة وطيدة بالمجتمع من حيث كونها ممارسة اجتماعية، فاللغة حسب قول نورمان فاركوف Norman

Fairchough "جزء من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزالها، وبينها وبين عناصر الحياة الأخرى علاقات منطقية".³ لقد حققت

¹ - صياد مليكة، المحذور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة "أمين زاوي و أسيا جبار" أنموذجا، جامعة زيان عاشور-الجللفة، إشراف الدكتور نوري كريمة، ط2018، ص219.

² - ادوارد خراط، الحساسية الجديدة- مقالات في الظاهرة القصصية، دار الآداب، بيروت، ط1993، ص11.

³ - نورمان فاركوف، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة د/طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ديسمبر 2009، ص19.

الروايات فقرة نوعية تتمثل في انتقالها من حالة كونها موضوعا للحظر إلى ممارسة المحظور الديني في كتابتها بالتصريح تارة والتستر والتخفي تارة أخرى. فمدت يدها إلى مناطق المسكوت عنه.

لقد ناقشت فضيلة فاروق في روايتها "مزاج مراهقة" مسألة الحجاب التي تعتبر من الثوابت التي تعبر عن هوية المرأة المسلمة، فعلى الرغم من كونه أمرا واجبا ومفروضا على المرأة بنص قرآني {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ¹ إلا أن الإشكالية التي لامسناها من خلال طرح الكاتبة تكمن في رفض الحجاب بقوة وإصرار. فالحجاب يحمل أبعادا عديدة "فالبعد الأول بصري ويعني الحجب عن النظر، والبعد الثاني هو حيزي، ويعني إقامة عتبة وتعيين حد، والبعد الثالث أخلاقي ويعود لميدان المحرم (إن الحيز المستور بحجاب هو حيز محرم). ²

"ترفض البطلة لويزا ارتداء هذا الزي التنكري، يعني الموت ولهذا رفضت وبكيت." ³ اعتبر كشرط لدخولها الجامعة ومزاولة دراستها لأن النسق الذكوري يعتبر المرأة عورة لا بد من إخفائها عن الأنظار، فيقوم بحجبها وحصر حركتها "كوني لكن لا تظهر". ⁴ من هنا فإن الرجل يستمد من الدين الشرعية التي تخوله السيطرة على جسد المرأة غير أنها تنبعت لمثل هذه الأفعال الإلزامية التي تستر تحت عباءة الدين. ورفضها للحجاب، إنما هو رفض لسلطة الترهيب التي تعمل على إقناع الفتاة بارتداء الحجاب دون فهم المغزى الديني منه، وهذا تجلّ في قولها من خلال حوار دار مع أختها: "الحجاب عندنا غير مرتبط بسن البلوغ يالويزا إنه مرتبط بشيئين: بقناعة الفتاة بنفسها وهذا شيء لا يخير أو بمستوى ذكائها إذا ما شعر الأهل إنها ستخرج من دائرتهم فرضوه عليها لإرباكها لا غير." ⁵

فالخروج فضيلة الفاروق على طابو الدين لم يكن مفتعلا بل كان نتيجة حتمية لسلطة القمع التي دفعت بالمرأة إلى الحدود القصوى. تتميز مليكه مقدم بجرائها منقطعة النظير في تناول المحرمات الدينية، والسياسية، والجنسية، ومن المحظورات الدينية في متونها الروائية نلمح: الإعلان- والتصريح بالإلحاد في روايتها- التي تنتمي إلى الروايات السير ذاتية "بعد أن خرجت من وحدة الوحشية وانتعشت بفضل الحب وصحبة الفتيات العنيدات مثلي، بوسعي أخيرا أن أفشي سرا خطيرا: أنا ملحدة منذ بلغت الخامسة، كم يريخي أن أستطيع أخيرا إعلان ذلك والمجاهرة به." ⁶ فالكاتبة تكشف عن سعادتها الكبيرة بكونها ملحدة، ولم تكتف بذلك بل لتزيد سعادتها أكثر تجاهر بهذا الإلحاد وتفتخر به، وتشعر بالغبطة لامتلاكها القدرة على إعلان ذلك للناس.

¹ - سورة النور، الآية 31.

² - سامية داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف : بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط2011، ص215.

³ - فضيلة فاروق، مزاج مراهقة، دار الفرائي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص18.

⁴ - مرجع نفسه، ص16.

⁵ - مرجع نفسه، ص17.

⁶ - صياد مليكه، المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة "أمين زاوي وأسيا جبار، ص213، عن مليكه مقدم، رجالي، ترجمة نهلة بيوض، دار الفرائي، بيروت، سيديا فرع هاشتت الفرنسي في الجزائر، ط1، 2007، ص62.

لم تتم الاكتفاء بالإلحاد، بل تم نفي وجود الآخرة في الدين الإسلامي- هذه الآخرة التي يعد الاعتقاد بها من مبادئ الإيمان - وهذا ما تؤكد في قولها " ليس لدي سوى من هذه الحياة يا أبي، أنا لا أؤمن بهذه الأبدية التي تصلي لها."¹ فهي ترمي الحقائق التي أقرها المولى سبحانه وتعالى بالباطل وتشكك فيها- ففي نظرها لا وجود ليوم الحساب ولا للآخرة، كأنها تحاول زرع ثقافة مغايرة وبديلة.

عرفت مليكه مقدم في سماء الإبداع بالمتمردة، بكل ما تحمله من معنى، تمرد مس كل ما وصفته بالقيود البشرية و الإلهية، حيث بلغت جرأتها على موضوع الدين درجة فاقت المعقول، مما جعلها تتحدث عن الدين الإسلامي وتشكك في كل أصوله ومعتقداته، من وجود الآخرة، والبعث والعذاب.

تعد من الكاتبات الجزائريات اللواتي يتمتعن بحرية في الكتابة الروائية، هذه الحرية جعلتها تتحدث عن المحذور الديني دون قيود أو حواجز، مما جعلها تشكك في الدين تارة، وتصفه بالحماقات تارة أخرى غير أننا نلمح في كتاباتها ما يبعث على البحث والدراسة.

ثانيا: اشتغال المحذور الديني في روايات أسيا جبار:

شغل الخطاب الديني مساحات واسعة في متون الروائية النسوية الجزائرية المعاصرة، باعتباره عاكسا للثقافة الجزائرية ومشخصا للمنظومة الفكرية التي ينتهجها أفراد المجتمع، الذين يفسحون للدين مجالا واسعا في حياتهم كتعبير عن الالتزام والاستقامة، كما يعد الدين المقياس الأكثر دقة لأخلاق وآداب المجتمع.

تعتبر أسيا جبار أديبة فرانكفونية، كل كتاباتها باللغة الفرنسية، والتي لم تتنازل عنها يوما، فقد سمح لها بولوج المواضيع الحساسة، على غرار موضوعي الدين والجنس، وهي التي دخلت معترك الكتابة في سنوات الخمسينيات، أيام كان ظهور المرأة في هذا المجال محتشما، فتواجدها بفرنسا، ونشرها لأعمالها هناك، بالإضافة إلى توجه رواياتها لجمهورها الغربي، قد ساعدها كل ذلك على تقبل أعمالها، حتى وإن انتهكت المحظورات. أخذ احتياطاتها عندما ما تصل إلى المواقع الخطرة.

اهتمت أسيا جبار بالاشتغال على النص الديني بمختلف مشاريعه ومصادره من باب المحظورات وتدنيس المعتقدات الدينية. والمتتبع لطريقة تجلي هذا العنصر داخل نسيجها الروائي، يبدو أن المحذور الديني، قد توزع عندها على ثلاث مستويات وهي على التوالي: المحذور الديني العقائدي- المحذور الديني المادي- المحذور الديني الأخلاقي. سنحاول دراسة هذه المستويات وتحليلاتها في المتون الروائية.

أولا:- المحذور الديني العقائدي:

ونقصد به جملة المحظورات الدينية التي تتعلق بالمعتقدات، وهاته الأخيرة هي ما تنعقد عليه النفس، وما تسره في مكنوناتها ويختلج في خواطرها" وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذ مذهباً وديناً يدين به."²

¹ -مرجع نفسه، ، عن مليكه مقدم، رجالي، ترجمة نهلة بيوض، دار الفارابي، بيروت، سيديا فرع هاشت الفرنسي في الجزائر، ط1، 2007، ص 20.

² - القحطاني سعيد بن علي بن وهف، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض -السعودية، ط1، 2008، ص119.

فهي أمور يشعر بها المرء ولكنها لا تظهر للعيان، وبالتالي لا يعلمها إلا المولى عز وجل وهذا ما ورد في قوله {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.¹

"فالاعتقادات هي التي لا تتعلق بكيفية العمل؛ مثل اعتقاد ربوبية الله، ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة." فنكران هذه اليقينيات، وعدم الاعتراف بها، يعد محظورا دينيا، فالملحدون والمشككون بيوم القيامة، وحقائق مثل وجود الجنة والنار، والثواب والعقاب؛ لا محالة في المحذور العقائدي في الديانات السماوية²، وعلى رأسها الإسلام، سنحاول تقصي هذا المستوى في روايات أسيا جبار.

بالنسبة لأسيا جبار، فلم يحضر عندها هذا المستوى بشكل كبير، ولا بأسلوب واضح فهي في تعاملها معه نجدها تميل إلى الإشارة، وتكتفي بها أحيانا. وينذر عندها التصريح، ففي روايتها "بوابة الذكريات" تصرح البطلة بخشيتها لوالدها، عوضا من خشية الله، وهذا تجلّي في حوارها مع صديقتها في المرقد "تقول جاكلين-أجل لقد قبلني.... طويلا! قالت يحدها الحنين..... قلت وقد هالني انقياد جاكلين واستهتارها في المشهد المستذكر: هذا غير معقول وفضلا عن هذا تبدو فخورة بما أقدمت عليه! أما أنا فقد بقيت صامدة التثبت بقيمتنا بل سأذهب إلى الإشفاق على هذه الصديقة: فأن تترك جسدها يعبث به ذراع رجل غريب أمر يبدو لي حيوانا.... والظاهرة يا آنسة؟ والعهد المبرم- وإن بشكل غير صريح- مع الأب."³

فالشخصية الساردة في هذا المقطع، وفي عدة مقاطع أخرى من الرواية، تعبر عن خشيتها لوالدها، ورهبتها منه، وأنها لا تقوم بأي محذور ديني أو أخلاقي.

"ولكن لتصور طيفه غير المرئي في هذه الداخلية وهو يتسلل بين جاكلين وسريري: في مقدوره أن يسمع بدوره اعترافات المراهقة الأوروبية. ورغم هذا، سيقراً في قلبي، وسيحفظ ثقته بي إنه يعرفني ((صادقة ووفية)) ولكن وفية لأي شيء: وفية له وهو الأب الحارس الرقيب والأب المتشدد."⁴

تؤكد الساردة خوفها الأبدي من هذا الرقيب، والحارس المتشدد، الذي تحس أنه يراقب كل تحركاتها، في سرها وعلاقتها، وحتى في مضجعها وهي نائمة، فهي تخشاه أشد ما تكون الخشية، وقد رهنّت تصرفاتها، وسلوكياتها.

ثانيا: -المحذور الديني المادي:

إذا كان المحذور الديني العقائدي، محله القلب، وما تنطوي عليه النفس، ويمكن مداراته، كالإلحاد مثلا الذي لا يعرف على الإنسان إلا إذ صرح به. فإن المحذور الديني المادي محله سلوكات الفرد، وما يصدر عنه من تصرفات، وأقوال، وأفعال تكون في جملتها بادية للعيان. لما كانت هذه التصرفات ليست إلا ترجمة لما تتعقد عليه النفس جاءت في المرتبة الثانية.

¹ - سورة التغابن، الآية 4.

² - الفوزان صالح بن فوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما تضادها أو ينقصها من الشرك الأكثر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، ط2013، ص9.

³ - أسيا جبار، بوابة الذكريات، nulle part dans la maison de mon père، ترجمة محمد يحياتن، ميديا، ط2007، ص231.

⁴ - مصدر نفسه، ص232.

فالمحظور الديني المادي إذن هو جملة السلوكيات المنافية لما دعا إليه الله في كتابه العزيز، سواء بنص صريح أو ضمني، والمنافية لما درج عليه النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد في السنة النبوية.

وإذا ما تعلق الأمر بممارسات أفراد المجتمع، فإن الرواية ستكون أفضل وعاء يحتوي هذه الممارسات، وينقلها، ويصورها لأنها انعكاس آلي لما يحدث في المجتمعات: "ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع، مادتها إنسان في المجتمع، وأحداثها نتيجة لصراع الفرد-مدفوعا برغباته ومثله-ضد الآخرين، وربما ضد مثلهم أيضا".¹

كل ذلك جعل منها أكثر جنس أدبي يمتلك القدرة على تصوير سلوكيات الأفراد، وبالتالي القدرة على تصوير ما يقعون فيه من محظورات.

1- شرب الخمر وأنواع المسكرات:

يعد شرب الخمر من بين المحظورات التي لم تغب عن روايات أسيا جبار، ومعلوم أن الخمر من الأمور التي نهى عنها الشرع، وحظر استهلاكها. وإن كان ذلك يخص كل الديانات "كل شيء أسكر كثيره أحدا من الناس فالنقطة منه فما فوقها إلى أكثر مقادير خمر؛ حرام ملكه وبيعه وشربه واستعماله على كل أحد".²

فأسيا جبار في حديثها عن تجربتها الشخصية، ومغامراتها مع المحظورات تسرد حادثة شربها الخمر لأول مرة، ثم كيف أصبحت عادة تتقاسمها مع رفيقتها في الداخلية-الصديقة الفرنسية-ماق "هكذا في سن الثالثة عشر رحت أنتهك نواهي القرآن الكريم، هزت كتفيها أو ربما استشهدت بقول من أقوال جيد(بالكاد شرعنا في ملازمة هذا العالم في مطالعتنا المشتركة)هكذا إذن أصبحت أتعاطى كل يوم سبت البابا بالروم تحت أنظار ماق".³

2-:تدنيس حرمة المقدسات الدينية:

لقد ظهرت قضية المقدس، والمدنس لدى البشرية الأولى، ومنذ أقدم العصور، ولا زالت موجودة إلى غاية يومنا هذا، رغم كل التصورات التي عرفتها الإنسانية. وهي ظاهرة تمس كل الأشياء: الإنسان-والكلام-الطقس والمعتقد. المعتقدات والطقوس من أهم الرموز الدينية، وتحتل مكانة مهمة عند المؤمنين؛ فهم يحافظون عليها، ويخشون تحريفها أو تدنيسها، لأن الدين يبنى أساسا على قيم ومعتقدات.

وبما أن الرواية ماهي إلا مرآة عاكسة للحياة، وبما أن الحياة هي مسيرة زمانية لمجتمع ما، في حدود مكانية، وبما أن المجتمع البشري منذ نعومة أظافره، قد قدس ودنس؛ فقد انعكست صورة التقديس والتدنيس بصفة آلية في المتون الروائية، ومن بينها الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة التي عاجلت هذه القضية في ربوعها، ومن خلال صفحاتها. وسنحاول الوقوف على تدنيس بعض المقدسات الدينية في العوالم الروائية عند أسيا جبار.

¹ - محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي-القاهرة-مصر، ط1، 1990، ص3.

² -ابن أحمد بن سعيد ابن حزم، المحلى بالآثار، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ط-د، دت، الجزء 7، ص 478.

³ - أسيا جبار، بوابة الذكريات، ص 180.

ومن بين الطقوس الدينية التي تواجدت في رواية "بوابة الذكريات" طقس صيام رمضان" خلال هذا الشهر على العكس، نجتمع في نفس المرقد، ثم نستيقظ وقت السحور، وفي الليل نزل مرتديات المنامات وقمصان الحمام في أروقة الداخلية المظلمة إلى غاية قاعة الأكل - كنا آنذاك قرابة عشرين ثم في السنوات التالية أكثر فأكثر بوصول داخلات أخريات أصغر.... بعد تناولنا الكسكسي- بالخضر، فالسكريات حتى نستطيع الصمود خلال دروس الصباح، ثم نصعد ثانية ونحن يقظات وناسيات المرقد والإعدادية، ونبقى في أغلب الأحيان إلى غاية الفجر ونحن نغني أغاني قديمة ونستذكر المدينة و القرية، كل واحدة بطريقتها.¹

السحور سنة محمود، ويفترض أنه بعد تناول وجبة السحور، يقوم المسلم بالصلاة والخشوع، والتوبة والتقرب إلى الله بالطاعات. لأنه في هذا الشهر تضاعف الحسنات، لكن الفتيات المسلمات في هذه الداخلية ركزن فقط على وجبة السحور، وأهملن الجوانب الروحية المصاحبة لهذا الطقس، فبذت الغاية من استيقاظهن هي الأكل فقط؛ حيث لم تتم الإشارة إلى أي طقس روحي، بل نجدهن عند إتمامهن الوجبة، قد جلسن يتبادلن الحكايا والغناء، وبالتالي لم يحترمن الغاية المرجوة من تشريع هذا الطقس.

وفي نفس الرواية، نجد تدنيسا لرمز آخر هو "اسم فاطمة الزهراء" اسم بنت الرسول صل الله عليه وسلم؛ حيث تنقل الساردة رأي الآخر في هذا الاسم، والذي يمثل انتقاصا من شأنها، واحتقارا: "وأنا في هذا القسم الإعدادي، أنسى بأنني مختلفة بالنسبة إلى زميلاتي، من خلال اسم أبي الطويل واسم فاطمة هذا الذي يجعلني لدى ذوي والذي ينقص شأني هنا في نظر الآخرين."²

وهذا الاسم له مرجعية دينية، لذلك يقابل بالاحترام من لدن بأهلها، ولكنه يقابل بالاحتقار من لدن الآخر الفرنسي، وبما أنها تدرس في إعدادية فرنسية فهي ستعاني إذن جراء هذا الاسم؛ الذي يرمز لهويتها العربية الإسلامية، إذن يتم النظر إليها بالازدراء والاحتقار.

تعليق ختامي:

نخلص من كل ماسبق أن المحذور في الأدب قلم جديد، قلم من حيث وجوده، وجديد من حيث شيوعه وانتشاره؛ إذا لم تخل المؤلفات القديمة من خروقات دينية وسياسية وجنسية، لكن الملفت للانتباه هو تسابق الأقلام الروائية النسائية مؤثرا على الاحتفاء بموضوع المحظورات في المتون الروائية، وتنافسنا فيما بينهن حاولنا التجراً على هذه المحظورات أكثر. ولكل واحدة منهن أسبأها، وغاياتها التي تدفعها إلى هذا الطرح.

- بعد كم لا بأس به من الإنتاج الروائي النسوي، وبعد فترة من التفاعل من خلال التأثير والتأثر بما ينتج من روايات في العالم؛ أصبحت الرواية النسوية الجزائرية بصمتها الخاصة وخصوصيتها المميزة، امتلاكها لسمات محددة أهلتها لإمضاء هويتها المنفردة.

- انطلقت الكاتبة في تعاملها مع موضوع المحذور الديني، من ذاتها التي مثلت الصوت الناطق باسم كل امرأة حرمت بحكم المجتمع، وبحكم الفهم الناقص للدين، بما يدور في خلجات نفسها.

- خجل أسيا جبار في اشتغالها على محذور الديني بمختلف مستوياته، وعرضها لقضية تدنيس العديد من المقدسات الدينية، لم يكن من منطق العبث، ولا خلوا من غاية مقصودة.

¹ - المرجع السابق، ص 214-215.

² - مرجع نفسه، ص 134.

- كانت أسيا جبار بحكم عدم معاشتها .للمجتمع الجزائري، وعيشها في بيئة أجنبية لا تدين الإسلام، وبحكم أن رواية "بوابة الذكريات" كانت نقلا لحياتها الحقيقية، كان تعاملها مع موضوع الدين، والمحذور الديني يأتي ملفوفا في وشاح الخجل، وكانت في خروقاتها التي وردت في روايتها، ومواقعتها لجملة من المحظورات، يأتي من كونها عاشت فترة طفولتها في الجزائر المستعمرة.

- لجأت إلى مغازلة موضوع الدين، ومختلف محظوراته عن قصد ووعي، وهدفا من خلال ذلك إلى تصحيح رؤى، ومعالجة قضايا، وتصحيح أخطاء تقترب باسم الدين، وتعرية ممارسات تتخذ منه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

- 1 - أسيا جبار، بوابة الذكريات، nulle part dans la maison de mon père، ترجمة محمد يحياتن، ميديا، ط2007.
 - 2 - فضيلة فاروق، مزاج مراهقة، دار الفرابي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- المراجع:
- 1- ابن أحمد بن سعيد ابن حزم، المحلى بالآثار، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ط-د، الجزء 7.
 - 2- ادوارد خراط، الحساسية الجديدة-مقالات في الظاهرة القصصية، دار الآداب، بيروت، ط1993.
 - 3- أمال بوعطيط، إشكالية الهوية في الخطاب الأنثوي العربي المعاصر(الرواية المغاربية) نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة باتنة، أشرف: الطيب بودريالة، ط2016-2017.
 - 4- سامية داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف : بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط2011.
 - 5- صياد مليكه، المحذور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة"أمين زاوي و أسيا جبار"أمودجا، جامعة زيان عاشور-الجللفة، إشراف الدكتوراه ناوي كريمة، ط2018.
 - 6- القحطاني سعيد بن علي بن وهف، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض -السعودية، ط1، 2008.
 - 7- الفوزان صالح بن فوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكثر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، ط2013.
 - 8- محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي-القاهرة-مصر، ط1، 1990.
 - 9- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة د/طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ديسمبر 2009.